خمسة دراهم نحاسية أرتقية للأمير قطب الدين إيلغازى الثانى (572-580هـ/ 1176-1184م)

سماح عبدالرحمن محمود
كلية السياحة والفنادق - جامعه المنيا

ملخص البحث
تحظي العملات الآثارية كأحدي التحف المنقولة بأهمية كبيرة في مجال الإرشاد السياحي باعتبارها وثيقة رسمية تخضع للإشراف المباشر للدول التي قامت بسكها.وهي بهذا تعتبر بما تعرض له من زخارف كتابية وتصاوير آدمية ذات دلالات مختلفة علي ملامح الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية للدولة التابعة لها ، كما تعد مصدرا هاما لدراسة التاريخ والحضارة الإسلامية. ولما كانت العملات هي أحد العناصر الأساسية المكونة للمجموعات المتحفية في متاحف العالم العربي وأوروبا ، أصبح لزاما علي المرشد السياحي أن يلم ببعض من هذه المجموعات المتحفية والعناصر الزخرفية المستخدمة في زخرفتها ودلالاتها وألا يقتصر في دراسته علي مجموعه متحفية بعينها. يتناول هذا البحث دراسة تحليلية لعدد خمسة دراهم نحاسية أرتقية تنسب للأمير قطب الدين إيلغازى الثانى (572- 580هـ/ 1176- 1184م) حاكم الأراتقة فى ماردين وديار بكر، وهذه الدراهم محفوظة فى مجموعة سمو الأميرة موضى بنت عساف بالرياض(1)، وهى تنشر وتدرس فى هذا البحث لأول مرة .

الكلمات الدالة: عملات- القاب إسلامية-الأراتقة- تأثيرات بيزنطية.

.....

أهمية دراسة العملة في مجال الإرشاد السياحي

يمكننا استخدام النقود كوسيلة دعاية للسياحة عن طريق إبراز الدور المهم الذى لعبته النقود فى الحياة السياسية فى العصر الإسلامى، حيث توضح للسائح الأهمية الكبيرة التى تمتعت بها النقود فى النظام السياسى للدولة الإسلامية إذ كانت النقود أهم شارات الملك والسلطان التى حرص على اتخاذها الخلفاء والحكام بعد اعتلائهم الحكم مباشرة، فكان على الخليفة أو الحاكم أن يقوم بأمور رئيسية للإعلان عن توليه الحكم، أول هذه الأمور هى ضرب السكة وتسجيل أسمه عليها ثم الدعاء له في خطبة الجمعة، ثم نقش شريط الطراز بأسمه .فقد عبرت النقود و ما نقش عليها عن مراحل الصراع المختلفة بين الأمين و المأمون ، ولعبت دوراً مهماً فى الصراع بين الأخوين حول ولاية العهد، ثم الخلافة وذلك حين عزم الأمين على إقصاء المأمون من ولاية العهد ومبايعة ولديه موسى الناطق بالحق وعبد الله القائم بالحق، واستخدم الأمين النقود فى الدعاية لابنه موسى، فقام بسك النقود التذكارية باسم ابنه موسى .

وقد حاول الأمين من خلال هذه النقود التذكارية الدعاية لابنه وقام الأمين بعد ذلك بتسجيل اسم ابنه موسى الناطق بالحق على الدراهم المخصصة للتداول حتى يعلن للعامة خبر مبايعة ابنه بولاية العهد. ولم يقف المأمون مكتوف الأيدى أمام هذه الدعاية الواسعة التى قام بها أخوه الأمين لصالح ابنه إذ قام بإسقاط أسم الأمين من النقود والطراز وقطع عنه البريد، كما قام المأمون بضرب النقود بأسمه وسجل عليها لنفسه ألقاب " الإمام، إمام المؤمنين، الخليفة- الإمام" . هذا وقد لاقت النقود التى سكها المأمون رواجاً كبيراً فى الأقاليم المختلفة للخلافة الإسلامية فيما عدا العراق .

وانتهى النزاع بمقتل الأمين واعتلاء المأمون عرش الخلافة سنة 198هـ/ 813 م، و شهدت الدنانير منذ ذلك التاريخ تطورا مهما تمثل في تسجيل مكان الضرب عليها، و تسجيل كلمة لله في أعلى كتابات هامش الظهر، كما سجل عليها الاقتباس القرآني من سورة الروم الآية 4 (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ)بهامش الوجه الخارجي و ذلك بمناسبة انتصاره واعتلائه العرش، كما استكمل الاقتباس القرآني بهامش الظهر (محمد رسول الله أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)بعبارة(وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ).

كما توجد أمثلة عديدة ومتنوعة من الدول المستقلة فى العالم الإسلامى شرقه وغربه، والتى توضح الدور المهم الذى لعبته النقود فى الإعلان عن تولية الحكام للعرش ومنها النقود التى سكها أحمد بن طولون (265- 270هـ/ 878- 884م) فى سنة 265هـ بعد إعلان استقلاله عن الخلافة العباسية وتأسيس ملك مستقل له.

كما أن نبرز للسائح أهم مظاهر الحياة السياسية للدولة الإسلامية من خلال النقود وما سجل عليها من نقوش وكتابات تلقى الضوء على النظام السياسى للدولة سواء كانت خلافة أو غيرها، وتوضح الظروف التى صاحبت اعتلاء الخلفاء والحكام العرش كما تعكس الصراع حول ولاية العهد. كما نعرض لأهمية النقود فى الخضوع السياسى بين الدول المختلفة وكذا الصراعات السياسية والعسكرية بين الحكام والمعاهدات والتحالفات السياسية والعسكرية بينهم. ومن أهم الأمثلة التى توضح الدور الإعلامى المهم للنقود فى اعتلاء الحكام لكرسى الحكم الدنانير والدراهم التى سكها الخليفة العباسى هارون الرشيد فى سنة 170هـ، حيث يعد الخليفة الرشيد أول خليفة يسجل أسمه على الدنانير العربية الإسلامية منذ تعريبها فى سنة 77هـ على يد الخليفة عبد الملك بن مروان .

وتُعد النقود الإسلامية المعيار الحقيقى للنظام الاقتصادى للدولة، فهى تعبر بصورة واضحة عما يصيب هذا النظام من قوة وضعف. فالدول التى تمتلك نظاماً اقتصادياً قوياً وثابتاً تضرب نقوداً جيدة العيار وعلى وزن شرعى، وتلقى نقودها رواجاً تجارياً كبيراً فى أسواق التداول النقدى والتجارى، وتصبح نقوداً دولية معترف بها فى الأسواق العالمية، وتتجاوز كل الحدود السياسية والدينية والجغرافية بين الدول. أما الدول ذات النظام الاقتصادى المضطرب فإن نقودها تعكس هذا الاضطراب من خلال نقص عيارها، واضطراب وزنها، وانخفاضه عن الوزن الشرعى. وتفقد هذه النقود قبولها التجارى ويرفض الناس تداولها مما يفسح المجال أمام العملات الأجنبية القوية لغزو الأسواق المحلية، وهو ما يتشابه إلى حد كبير مع النظام النقدى المعاصر.

وأيضاً يمكن استخدام النقود كوسيلة دعاية للسياحة عن طريق إبراز الدور المهم الذى لعبته النقود فى التعبير عن كثير من مظاهر الحياة الإجتماعية فى العصر الإسلامى، حيث توضح للسائح الأهمية الكبيرة للنقود باعتبارها الجهاز الإعلامى الحكومى فى الدولة الإسلامية فعن طريقه تُبث الأخبار المهمة والأحداث العظيمة التى تشهدها البلاد،إذ كانت تُسك النقود تخليداً للعديد من المناسبات المهمة مثل تأسيس الدولة أو زوالها واعتلاء الحكام

للعرش، والمبايعة بولاية العهد، الحب والزواج والمصاهرة وغيرها من المناسبات .وقد أطلق على النقود التذكارية التى تُسك تخليداً لهذه المناسبات " نقود الصلة " لأنها كانت توزع كهدايا وصلة لأولى الأرحام الفقراء واليتامى، والأمراء وكبار القواد ورجال الدولة. لم تكن النقود التذكارية مخصصة للتداول، ولم يكن يهتم فى كثير من الأحيان بتسجيل أسم مكان أو تاريخ السك عليها كما اختلفت أوزانها، فلم يكن هناك قاعدة محددة لوزنها مثل نقود التداول ولكنها تختلف باختلاف المناسبات التى سكت فيها.ومن المناسبات الاجتماعية المهمة التى شهدتها الدول الإسلامية حالات المصاهرة بين الحكام والسلاطين وكبار الأمراء، إذ ضُربت نقود الزواج والمصاهرة وأيضاً نقود المناسبات السياسية، ونقود البيعة لولاية العهد، ونقود الإنتصارات العسكرية، نقود الدعاية المذهبية، ونقود الأعياد والمهرجانات والمناسبات الإجتماعية.

واستخدمت النقود كوسيلة مهمة من وسائل الدعاية والإعلان في العصر الإسلامي، فقد سجل عليها الحكام والسلاطين بعض البيانات الهامة إلى الرعية، كما استخدمت أيضاً لنشر الأفكار والمبادئ الدينية والأخلاقية ، ويمكن استخدام النقود كوسيلة دعاية فى مجال السياحة من خلال إبراز الناحية الجغرافية أمام السائح حيث نجد أن النقود قد سُجل عليها فى كثير من الأحيان أماكن سكها لذلك ظهر عليها العديد من أسماء مدن السك والتى اندثر كثير منها ولم يبقى ذكرها إلا على النقود مثل أتريب وفرما وغيرها. كما امدتنا النقود بالأسم الصحيح لبعض المدن والتى اختلف الجغرافيون فى تحديد اسمها؛ ويمكن من خلال ظهور بعض هذه المدن والأقاليم كأماكن سك نقود بعض الحكام أن نبرز للسائح امتداد نفوذ هذا الحاكم إلى تلك المدن والأقاليم المختلفة كما نوضح الامتداد السياسى والجغرافى للدول الإسلامية المختلفة .
ويتجلى دور النقود كوسيلة مهمة من وسائل الإعلام والدعاية فى العصر الإسلامى من خلال استخدامها فى الوعظ والإرشاد ونشر المبادئ الأخلاقية بين الناس؛ ومن هذه المبادئ ما يخص الفرد مثل: «بركة العمر حسن العمل»، «الدنيا ساعة فاجعلها طاعة». كما سجل على النقود الإسلامية تاريخ سكها – فى كثير من الأحيان – وتنوعت التواريخ التى ظهرت عليها فمنها: التقويم الهجرى، التقويم اليزدجردى، التقويم ما بعد اليزدجردى، التقويم الجبائى الرومانى، التقويم الإيلخانى وغيرها.

وقد استخدم على النقود الإسلامية العديد من الخطوط مثل الخط العربى بأنواعه: الكوفى البسيط، ذو الطرف المتقن، المورق، والنسخ والثلث، والنستعليق، والطغراء، كما استخدمت بعض الخطوط الأخرى غير العربية على النقود الإسلامية مثل: الفهلوى، واللاتينى، والأويغورى، والفارسى، والسنسكريتى، وبعض اللغات المحلية الأخرى فى شرق العالم الإسلامى. كما استخدمت العديد من رموز الأرقام على النقود الإسلامية، مثل الأرقام البهلوية، والأرقام اللاتينية، وحساب الجمل فى المشرق والمغرب، كما تعتبر النقود الإسلامية مدرسة فنية تحمل فى زخارفها ملامح كثيرة تتوافق مع الأسلوب الفنى المعاصر لها، ويتجلى ذلك من خلال دراسة الصور الآدمية والحيوانية، ورسوم الطيور والأسماك، والزخارف النباتية والهندسية .

الأراتقة فى ماردين وديار بكر

الأرتقيون فى ماردين وديار بكر هم أسرة تركمانية ينحدر أصلها من نسل أرتق بن إكسب أحد رؤساء قبيلة دوكر الغزية، والذى كان يتصف بالشجاعة والشهامة[2]، والذى ظهر على الساحة لأول مرة أثناء اشتراكه فى الحروب ضد البيزنطيين بالأناضول، ثم أرسله السلطان السلجوقى ملكشاه للقتال مع غيره من القادة التركمان على حدود الإمبراطورية، وتوفى وهو حاكم على فلسطين فخلفه ولداه سوكمن وإيلغازى، لكنهما لم يستطيعا التصدى للفاطميين والصليبيين فقاموا بالإنتقال إلى ديار بكر والإستقرار فيها، ثم استطاع إيلغازى بعد ذلك التوسع والسيطرة على أملاك السلاجقة فى هذا الإقليم. وقد اعتمد الأراتقة فى دولتهم على التركمان والمسيحيين من سكان ديار بكر، ولكن مع ظهور الزنكيين أدى هذا إلى الحد من توسع الأراتقة حتى أصبحوا فيما بعد نواباً لنور الدين محمود بن زنكى، ثم للأيوبيين ثم لبعض الوقت عمالاً لسلاجقة الأناضول والدولة الخوارزمية، واستمر الأراتقة كذلك حتى سقوط دولتهم سنة 811هـ/ 1408م[3] .

تنسب النقود موضوع البحث وهى عبارة عن خمسة دراهم نحاسية[4] للأمير قطب الدين إيلغازى الثانى وهو الذى تولى الحكم بعد وفاة والده ألبى بن تمرتاش (572-580هـ/ 1176-1184م)[5]، وجميعها تتبع طرازاً واحداً جاء الشكل العام له فى الوجه عبارة عن دائرة واحدة من حبيبات متماسة تحصر بداخلها مربعا من حبيبات متماسة.أيضا يحتوى المربع بداخله على كتابات المركز، بينما نقشت كتابات الهامش في المساحات الأربع المحصورة بين أضلاع المربع والدائرة، أما الظهر فيحتوى على دائرة واحدة من حبيبات متماسة تحصر بداخلها كتابات المركز المكونة من خمسة أسطر أفقية، وجاءت نصوص الكتابات كما يلى:-

يحتوى مركز الوجه على صورة لرأس شخص يتجه ناحية اليمين وينظر إلى أعلى وقد لف رأسه بشريط على شكل مربعات وشعره مجعد على هيئة خصلات، وهذه الصورة تشبه صور النقود البيزنطية للإمبراطور قسطنطين الأول، أو ربما أنها متأثرة بالنقود الرومانية التي كان يصور عليها الإمبراطور وهو ينظر إلى أعلى[6]، ومن المحتمل أن يكون الإتقان في نقش هذه الصورة راجعا إلى أنها نفذت من قبل أحد الفنانين غير المسلمين الذين عاشوا تحت الحكم الإسلامي وأنجزوا أعمالاً كثيرة فى هذا الإطار[7]، أما كتابات الهامش فقد ورد بها نسب الأمير الأرتقى بصيغة "ابن ألبى بن/ تمرتاش بن/ إيل غازى/ بن أرتق"، وهذه التسميات هى تسميات تركمانية فهي من السمات التركمانية التي احتفظ بها الأراتقة، فكلمة ألبى تعنى محارب أو مغوار[8] .

وجاءت كتابات الظهر مركزية فقط ودونت بها اسم الأمير الأرتقى قطب الدين إيلغازى وألقابه فى خمسة أسطر متتالية بصيغة " إيل غازى/لمولانا المالك العالم/العادل قطب الدين/ملك الأمرا شاه/ديار بكر". ولقب مولانا هو فى الأصل لقب المولى وذاع استعماله مضافاً إلى ضمير جمع المتكلم فقيل مولانا وقد استعمل هذا اللقب الخلفاء العباسيون والخلفاء الفاطميون واستعمله أيضاً السلطان صلاح الدين الأيوبي[9]، ثم سجل لقب المالك وهو عكس المملوك وهو من الألقاب الملكية التى استعملت خلال العصور الإسلامية، وأول من أطلق عليه هو الأتابك ظهير الدين طغتكين سنة 506هـ/ 1112م؛ وأضيف هذا اللقب إلى بعض الكلمات لتكوين ألقاب مركبة مثل ملك البرين ومالك بلاد الله[10]، أما لقب العالم فهو من ألقاب العلماء وهو من الألقاب التي يعتز بها الملوك وأطلق منذ سنة 433هـ/ 1041م على معز الدولة أرسلان تكين أبى الفضل العباسى[11]، أما لقب العادل فى اللغة فهو خلاف الجائر، وهو من ألقاب الملوك وولاة الأمور وهو من أعلى الصفات لأنه بالعدل تعمر الممالك وتصلح الأمور، وأطلق أيضاً على الوزراء فى العصر الفاطمي[12]،ودون بالسطر الرابع لقب ملك الأمرا وهو لقب كان يطلق على أكابر الأمراء فكان الملقب به يقوم مقام الملك في التصرف والتنفيذ[13]،ثم سجل لقب شاه وهو لقب فارسي بمعنى ملك وسيد وكان يطلق على ملوك الفرس ومن تشبه بهم، وهو هنا يعنى ملك ديار بكر[14]،وسجل بالسطر الأخير اسم مكان الضرب وهو ديار بكر[15].

أما تاريخ سك هذه الدراهم فهو غير مسجل ولكن يمكن تأريخهم بفترة حكم الأمير قطب الدين إيلغازى الثانى بن أرتق والتي امتدت من سنة 572هـ/1176م وحتى سنة 580هـ/1184م وهو المسجل اسمه وألقابه عليهم جميعاً .

نتائج البحث

1- نشر ودراسة لعدد خمسة دراهم نحاسية محفوظة فى مجموعة سمو الأميرة موضى بنت عساف بالرياض تنشر وتدرس لأول مرة ؛
2- استعمل الأراتقة تسميات تركمانية على نقودهم مثل إيلغازى وألبى ؛
3- نقش الأراتقة بصفة عامة والأمير قطب الدين إيلغازى الثانى بصفة خاصة على نقودهم صوراً نصفية تأثراً بجيرانهم من البيزنطيين ؛
4- حرص الأمير قطب الدين إيلغازى الثانى على تسجيل الكثير من الألقاب على نقوده ؛
5- ضرب الأمير قطب الدين إيلغازى الثانى دراهمه من النحاس على غرار أقرانه الأراتقة وهو النظام النقدى المتبع فى تلك الفترة ؛
6- بالإضافة إلي كونه يلقي الضوء علي أهمية دراسة العملات في مجال الإرشاد السياحي ، يهدف البحث - بتناوله إحدى المجموعات المتحفية للعملات في دولة عربيه تعد من الدول الرئيسية المصدرة للطلاب الوافدين للدراسة في مصر في مختلف المجالات وهي المملكة العربية

السعودية - إلي محاولة إيجاد قاسم مشترك لفتح آفاق التعاون الثقافي والعلمي بين أقسام الإرشاد السياحي بكليات السياحة والفنادق في مصر ونظائرها في العالم العربي بهدف استحداث آلية لاستقطاب الطلاب الوافدين لمرحله الدراسات العليا وفقا لمعايير الهيئة القومية لضمان الجودة والاعتماد في هذا الشأن.

لوحة رقم (1) درهم نحاسى للأمير قطب الدين إيلغازى الثانى، ضرب ديار بكر وغير مؤرخ، محفوظ فى مجموعة سمو الأميرة موضى بنت عساف فى الرياض ، رقم الحفظ 441، (وزن 8,8جم- قطر 28مم)

لوحة رقم (2) درهم نحاسى للأمير قطب الدين إيلغازى الثانى، ضرب ديار بكر وغير مؤرخ، محفوظ فى مجموعة سمو الأميرة موضى بنت عساف فى الرياض ، رقم الحفظ 442(وزن 8,7جم- قطر 29مم)

لوحة رقم (3) درهم نحاسى للأمير قطب الدين إيلغازى الثانى، ضرب ديار بكر وغير مؤرخ، محفوظ فى مجموعة سمو الأميرة موضى بنت عساف فى الرياض ، رقم الحفظ 443(وزن 8,2جم- قطر 27مم)

لوحة رقم (4) درهم نحاسى للأمير قطب الدين إيلغازى الثانى، ضرب ديار بكر وغير مؤرخ، محفوظ فى مجموعة سمو الأميرة موضى بنت عساف فى الرياض ، رقم الحفظ 444(وزن 8,5جرام- قطر 28ملم)

لوحة رقم (5) درهم نحاسى للأمير قطب الدين إيلغازى الثانى، ضرب ديار بكر وغير مؤرخ، محفوظ فى مجموعة سمو الأميرة موضى بنت عساف فى الرياض ، رقم الحفظ 445(وزن 8,2جم- قطر 29مم)

المراجع

(1) أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى ورثةسمو الاميرة موضى بنت عساف وهم الجوهرة وسادة ومشاعل ومحمد بن فهد آل سعود وذلك على السماح لى بدراسة ونشر هذه المجموعة من الدراهم .

(2) ابن كثير ((عماد الدين إسماعيل الدمشقى، ت 774هـ/ 1372م): البداية والنهاية، ج16، تحقيق: الدكتور عبد الله عبد المحسن التركى، الطبعة الأولى، دار هجر، 1419هـ/1998م ، ص121 ؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والإجتماعى، ج4 ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1996م، ص 80 .

(3) رزق الله منقريوس الصيرفى: تاريخ دول الإسلام، ج2،القاهرة، 1907-1908م،ص 134 ؛ بوزورث: الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، دراسة فى التاريخ والأنساب، ترجمة: حسين على اللبودى، مراجعة: د/ سليمان ابراهيم العسكرى، الطبعة الثانية، القاهرة 1995م، ص 172 .

(4) هذه الدراهم كانت كبيرة الحجم وكانت تزن من 10: 15 جراما، ووجدت منذ منتصف القرن الخامس الهجرى وضربها أيضاً حكام إللك خانات والأتابكة . انظر : عاطف منصور: النقود الإسلامية وأهميتها فى دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، زهراء الشرق، الطبعة الثانية، القاهرة2011م، ص ص 110 ،406 .

(5) رزق الله منقريوس الصيرفى: تاريخ دول الإسلام، ج2، ص 140؛ زمباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ترجمة: د/ زكى محمد حسن وآخرون، القاهرة 1980م، ص 345 .

(6) Mitchiner, M.(1977) The World Of Islam, Oriental Coins and Their Values, London 1977, P.167, No. 1031

(7) دعاء حامد: صور الكائنات الحية على النقود الإسلامية ودلالاتها حتى نهاية القرن السادس الهجرى "دراسة أثرية فنية"، مخطوط رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآثار- جامعة القاهرة، 2007م، ص98

(8) بوزورث: الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ص 172

(9) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، 1957م، ص ص519-520

(10) للمزيد من التفصيل عن هذا اللقب . انظر:حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص ص 444-445

(11) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص 390

(12) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص 388

(13) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص 502

(14) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص352

(15) هى بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وحدها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين . لمزيد من التفصيل انظر: ياقوت الحموى(شهاب الدين أبو عبد الله ، ت 626هـ/1229م): معجم البلدان ، ج2 ، دار صادر – بيروت، 1397هـ/1977م، ص 494 .